يومية 22

مهرجان تطوان الدولي لسينما بلدان البحر الأبيض المتوسط

28 مارس 2016

N°2

ضيف اليوم

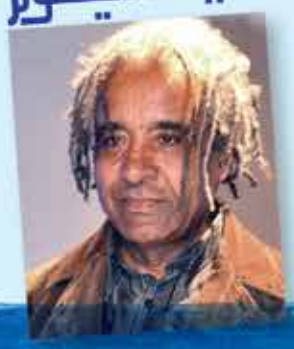

داود أولاد السيد

مخرج مغربي

نحن لسنا في حرب ولكننا نموت

افتتاحية

لسان السينما المغربية

إذا كانت الصورة هي لغة السينما الأولى، فبأي لسان نتكلم السينما المغربية؟ أكيد أنها ليست العربية، فهي تتحدث دارجة واحدة من الدوارج المغربية الكثيرة، والمتعددة تعدد هذا المغرب بمختلف جهاته ومناطقه وثقافاته وتعبيراته الدالة على غناه وثرائه. وتلك هي المفارقة. فبرغم هذا الغنى والرواج الذي تعرفه السوق اللغوية المغربية، داخليا، وبرغم المعجم المغربي الزاخر، لم نستطع أن نتحدث لغة مشتركة، ولم نصنع برنامجا للحد اللغوي الأدنى. ولم نستطع أن نضمن الرواج للسينما المغربية في السوق العربية إلى اليوم.

وما دمنا أمام إشكال اللغة، فالأكيد أنها أزمة نص بالأساس. والكثير من سيناريوهات الأفلام، كما يعلم الجميع، كتبت بالفرنسية، بينما يتكفل آخرون بمهمة ترجمتها وأدائها كما اتفق. من هنا، يمكننا القول إننا لا نتكلم بقدر ما نترجم. فالمغاربة غالبا ما يبتلعون لسانهم، وهم يتكلمون بلسان الآخرين. على أساس أن الترجمة هي اللغة المشتركة التي يتحدث بها الجميع، كما قال أمبرتو إيكو، قبل أن يرحل هذا الشهر الماضي.

من هنا، تأتي ندوة اليوم عن «السينما وقضايا اللغة»، وهي تعرف مشاركة باحثين ومتخصصين يستطيعون اقتراح لغة تتحدث بها السينما المغربية. وإن كانت السينما قد ولدت صامتة، والصورة هي لغتها الأثيرة والقديرة على قول ما لا يستطيع ان يقوله أي كلام.

ألبوم

بالصحة

ابتسامة نقدية

مستقبل السينما

المسابقة الرسمية لمهرجان تطوان تطل من ثلاث نوافذ... والأطفال يسبقون الجميع إلى قاعات السينما

افتتح فيلم «ثلاث نوافذ» لمخرجه عيسى كوسجا انطلاقة المسابقة الرسمية للفيلم الطويل، أمس الأحد، في سينما أبينيدا.

وهكذا، تطل المسابقة الرسمية للمهرجان من ثلاث نوافذ، ويتعلق الأمر بنافذة الفيلم الطويل والفيلم القصير، إلى جانب نافذة الفيلم الوثائقي، الذي انطلق بعرض فيلم «الفتى والليل»، للفرنسي دافيد يون، بقاعة المعهد الفرنسي.

وفي سينما إسبانيول، عاد المهرجان إلى فقرة خاصة بسينما التحريك، ضمن برنامجه التربوي، الذي يراهن على تمكين الأطفال من متعة مشاهدة السينما. وقد أشرف المعهد الفرنسي بتطوان على هذا البرنامج، عندما قدمت مديرة المعهد العرض الأول، الذي جرى افتتاحه بفيلم «الأمير الصغير»، عن الرواية الشهيرة لسان إكزوبيري. وهو فيلم التحريك الذي توج هذه السنة بجائزة سيزار الكبرى. وقد شهد هذا العرض إقبالا هائلا من قبل تلامذة المؤسسات التعليمية وتلامذة المعهد الفرنسي بتطوان.

وخلق هؤلاء الأطفال الحدث، في قلب مدينة تطوان، وأعادوا افتتاح المهرجان من جديد، عند مدخل سينما إسبانيول، وهم يتقدمون إليها في انضباط، وفي صف طويل، يرسمون طريقا نحو السينما، ونحو مستقبل السينما.

أما في قاعة المعهد الفرنسي، فقد انطلق برنامج الأفلام الوثائقية بعرض فيلم «الليل والفتى»، لمخرجه الفرنسي دافيد يون، ثم فيلم «ياسمين» للمهند كلثوم، وفيلم «منزل» لرأفت الزكوت. وقد تابع أفلام اليوم الأول من مسابقة الفيلم الوثائقي جمهور ظل وفيا للسينما الوثائقية ولقاعة المعهد الفرنسي التي تحتضن هذه الأفلام في هذا المهرجان.

وكانت موائد النقاش قد فتحت شهية السينمائيين وجمهور السينما، صبيحة أمس الأحد، في قاعة عبد الله الفخار، بالمعهد الوطني للفنون الجميلة، خلال اللقاء الخاص الذي انعقد احتفاء بتجربة المخرج المغربي داود أولاد السيد. وهو النقاش الذي ساهم فيه عدد من النقاد والسينمائيين المغاربة والعرب والفرنسيين والإسبان، وتوقف، بشكل مفصل، عند سؤال السينما والهوية، بالنظر إلى مغربية التجربة السينمائية لداود اولاد السيد، الذي ظل يقدم، ولا يزال، سينما مغربية الهوى والهوية.

هنا

يستضيف المعهد الوطني للفنون الجميلة، هذا اليوم، ندوة حول «السينما المغربية وقضايا اللغة»، كما يستضيف باقي وقائع البرنامج الثقافي للمهرجان. هذا المعهد المعلمة، الذي تأسس منذ سبعين عاما، ظل صدرا رحبا يتسع للسينما والسينمائيين، ويحتضن نقاشاتهم ولقاءاتهم في هذا المهرجان. أليس معهدا للصور، ومعهدا للفنون؟

وهناك

يحرص النقاد المغاربة والعرب على متابعة كل اللقاءات والنقاشات التي ينظمها المهرجان. وهم يسارعون إلى الصفوف الأمامية في كل لقاء، كما حدث صبيحة أمس الأحد. من قال: «الأحد لا أحد». النقاد يشاهدون السينما ويبحثون ويكتبون، ولا يعرفون يوم عطلة. فيوم الأحد يذهبون إلى السينما.

ضيف اليوم

داود أولاد السيد: نحن لسنا في حرب ولكننا نموت

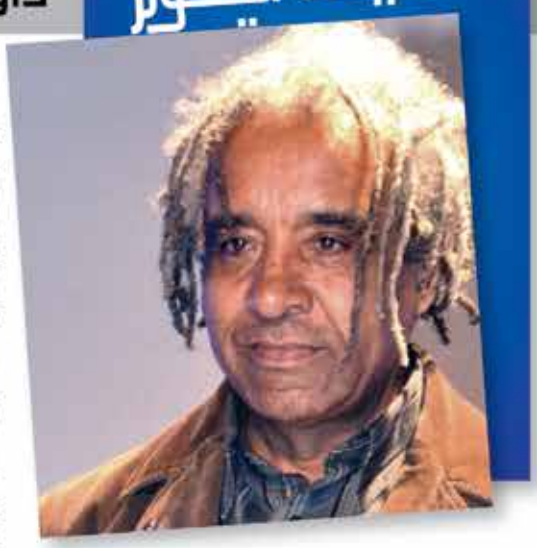

. حضر داود أولاد السيد الدورات الأولى من مهرجان تطوان، في ثمانينات القرن الماضي، مصورا فوتوغرافيا، مثلما حضر مخرجا وعضوا في لجان التحكيم، ليتم تكريمك اليوم على منصة افتتاح الدورة الحالية. قصة تستحق فيلما كاملا. أليس كذلك؟

.. بالفعل، فعلاقتي بمهرجان تطوان هي علاقة فريدة من نوعها. فقد قدمت إلى تطوان، في البداية، مصورا صحافيا شابا وطموحا، وكنت مكلفا بإعداد ربورطاج لفائدة مجلة كانت تصدر في ذلك الوقت باسم «كلمة». في هذه الفترة، سوف أكتشف مهرجانا كبيرا منذ بداياته، وسوف أتعرف إلى أفلام عالمية جديدة، وإلى نقاد كبار ينتجون خطابا نقديا وجماليا هائلا حول السينما. خاصة جماعة «دفاتر السينما»، ونقادها الذين كانوا يشاركون في المهرجان، والمخرجين والممثلين الأوروبيين والعرب، من أعلام السينما المتوسطية والعربية. كانت أياما جميلة، اكتشفنا فيها السينما المتوسطية والعالمية عن قرب وحب، كما لم نكتشفها من قبل. ولعل هذه الأجواء، إلى جانب شغفي بالفوتوغرافيا، هي التي دفعتني إلى اعتناق السينما. فتقدمت إلى المهرجان بأفلامي القصيرة، ثم بأفلامي الروائية الطويلة. ثم حضرت عضوا في لجنة تحكيم المهرجان. واليوم، أحظى بشرف التكريم في هذه الدورة. يمكن القول إنني مثل جندي سينمائي، وقد مررت بمختلف الرتب «العسكرية» في هذا المهرجان.

. فما هو سر هذه العلاقة مع مهرجان تطوان؟

.. هو سر كما قلت، فكيف يمكن معرفته لكي نبوح به. إذا فهمنا السر فإنه يكف عن أن يظل سرا. أظن أن جميع أفلامي قد عرضت في هذا المهرجان. ودائما كنت أجدني، ولا أزال، حريصا على أن تمر أفلامي في مهرجان تطوان. إنها بالفعل علاقة غريبة، وأنا مبتهج بهذه العلاقة وهذا الارتباط بمهرجان تطوان، وهو ارتباط يشرف أي مخرج سينمائي.

. أيضا، لك علاقة خاصة بجوائز المهرجان. وقد حصد فيلمك الأخير «الجامع» على جل جوائز المهرجان سنة 2011. كيف حدث ذلك؟

.. إنها البركة (يضحك). إحساس لا يتصور. وهي مفارقة أيضا. فالمهرجان الذي لا نستطيع أن نرد له الدين، وأن نكافئه على ما قدمه لنا منذ بداياتنا، يكافئنا على محبتنا له، وعلى إخلاصنا لدروسه السينمائية الكبيرة.

> **أنا مثل جندي، تدرج في مختلف الرتب عبر تاريخ مهرجان تطوان الدولي لسينما بلدان البحر الأبيض المتوسط**

. متى سيخرج داود أولاد السيد من «الجامع». وقد بدأنا نسمع عن فيلمك الجديد «أصوات الصحراء». ثم لماذا هذا الإصرار على التصوير في الفضاءات الجنوبية للمغرب، بما هي فضاءات مفتوحة. حيث دائما ما تمتد السماء خلفية لأغلب مشاهدك الفيلمية؟

.. ربما يكون السبب مرتبطا بجذوري الجنوبية. وربما ثمة هوس بهذه الفضاءات، أو حميمية استثنائية وألفة خاصة. تبهرني الفضاءات المفتوحة، وتستهويني بشكل أخاذ وجذاب، ربما بسبب ميولي الفوتوغرافية. وإن كان هذا لا يمنعني من التصوير في فضاءات مغربية أخرى، ما دامت كل جهة من جهات المغرب تتيح ثراء في المشاهد أمام المخرجين والمتلقين. ومستقبلا، هنالك مشروع فكرة لتصوير فيلم في الجهة الشرقية، ما بين فكيك ووجدة.

. لنعد إلى السينما المغربية. يعقد المهرجان في هذا اليوم ندوة حول «السينما المغربية وقضايا اللغة»، على أساس أن السينما المغربية تواجه أزمة لغة، وهي تجد صعوبة في الوصول إلى المتلقي في العالم العربي مثلا؟

.. في نظري الخاص، ربما يحدث ذلك، وبشكل خاص في البرامج والأعمال التلفزيونية. أما بالنسبة إلى الفيلم، فأرى أن الصورة هي نحو السينما. والضروري هو معرفة هذه القواعد. والسينما لا صوت لها. وفي البدء بدأت السينما صامتة. والمخرج لا يلجأ إلى الصوت إلا عندما تعوزه الوسائل للتعبير بطرق أخرى. يحضرني هنا ما قاله المخرج الياباني الشهير كيوشي كيروزاوا، الذي كشف ذات مرة أنه حين يريد مشاهدة فيلم، أول مرة، فهو يقطع الصوت، ليشاهده كما هو، من غير أصوات.

. وماذا عن فيلم «أصوات الصحراء». أي أصوات ستنصت إليها في هذا العمل؟

.. هو رحلة في عرض الصحراء بحثا عن الذات. إنها مصائر ثلاث شخصيات، كل شخصية تبحث عن ذاتها في هذا الفضاء الصحراوي الشاسع والفسيح. ويكون المشاهد مدعوا إلى خوض رحلة بصرية رفقة هؤلاء، في الطريق إلى ذواتهم وذاته هو أيضا.

. تنعقد الدورة الحالية من المهرجان في سياق متوسطي محموم، ظالم ومظلم، وقاتم، ومؤلم، من نزاعات وتفجيرات وأزمات وآلام وآثام. كيف يتابع داود ما يجري من أحداث وما يجري من دماء في هذا الفضاء المتوسطي؟

.. صراحة، فإن المشاهد مؤلمة، والآفاق معتمة كذلك. وما يؤلم أكثر هو أن الضحايا كلهم أبرياء، لا ذنب لهم. فنحن لسنا في حرب، لكي يعرف كل طرف خصمه وعدوه، ولكننا نموت. ثمة ضحايا يسقطون فجأة، ويتم اغتيالهم وتجري إبادتهم، هكذا، من غير أن يفهموا معنى لأي شيء.

. داود أولا السيد كاتب أيضا، إلى جانب تجربته الراسخة في الإخراج. كيف يجيب السينمائي عما يجري ويعتمل في فضائنا المتوسطي الآن؟

.. أرى أن السينمائي، والفنان، بشكل عام، لا يمتلك حلولا ولا يقدم أجوبة. فهو ليس رجل سياسة. ما يقوم به الفنان هو أنه يضع أصبعه على المشاكل التي يعيشها العالم من حوله، ويشير وينبه إليها. وبهذا، فإن الفنان يطرح الأسئلة والمشاكل، ليحمل المسؤولين مهمة الإجابة عنها.

برنامج اليوم

سينما أبنيدا

16.00 مساء: الورطة، طونس دافزظ، تركيا، 2015، 90 د.

18.30 مساء: حي سوبورا، سطيفانو سوليما، إيطاليا، 2015، 128 د.

21.00 ليلا: رجال من طين، مراد بوسيف، المغرب/ بلجيكا، 2015، 109 د.

سينما اسبانيول

15.00 مساء: برنامج سينما التحريك

17.00 مساء: ثلاث نوافذ وعملية شنق، عيسى كوسجا، كوسوفو، 2014، 80 د.

19.00 مساء: الغيلان، لينا فيهمر، فرنسا، 2015، 140 د.

المعهد الفرنسي

16.00 مساء: من لولا إلى ليلى، ميلينا بوشي، 2015، 53 د.

18.30 مساء: زعفران، لخالد غربال، تونس، 2015، 90 د.

دار الصنائع

16.30 مساء: ندوة «السينما المغربية وقضايا اللغة»

فيلم اليوم: سوبورا، للمخرج ستيفانو سوليما: اسم على مسمى

في روما القديمة، كان اسم سوبورا يطلق على حي تنتشر في جنباته الحانات والمواخير، وفيه كان يلتقي النبلاء من أعضاء مجلس الشيوخ الروماني، بقادة العصابات الإجرامية، لعقد صفقات مشتركة مشبوهة. وبعد مرور ألفي سنة، يبدو أن لا شيء تغير، فما زالت العاصمة الإيطالية فضاء تتقاطع فيه سبل السياسيين والأفاقين. وما زال قاع المدينة المظلم يملي أوامره على رجال سياسة تخرتهم الرشوة والفساد، بوساطة من أشخاص منعدمي الضمير، وفي ظل مباركة الفاتيكان بما يضطلع به من دور ملتبس لا علاقة له بصفاء الروح. هكذا يغوص فيلم «سوبورا» للمخرج ستيفانو سوليما، في قلب هذه العوالم الثلاثة المتداخلة في إيطاليا، وهي عالم الدين والسياسة والجريمة، وكل الفاعلين في هذه الدوائر الثلاث تربطهم علاقات تطرح أكثر من علامة استفهام بالورش الكبير الجاري إنجازه في روما، الذي سيؤدي إلى ولادة نسخة من «لاس فيغاس» في قلب هذه المدينة، بعد تحويل جذري لجغرافية ساحل أوستيا. يتتبع الفيلم حياة «سوبورا»، وهو اسم هذا الحي القديم سيء السمعة في روما، حيث ظل المجرمون طوال التاريخ يتحالفون مع الأقوياء المتنفذين بأموالهم، طوال سبعة أيام، موزعة على فترتين، وهما فترة ما قبل «التحول الجذري» وخلال الأعمال الضخمة لتحويل الفضاء، في تزامن مع سقوط الحكومة واستقالة البابا. ويتوسل الفيلم لعرض كل هذه الدوائر المتداخلة والمصالح المشبوهة المتشابكة، بشخصيات نموذجية، على رأسها رجل سياسة مدمن على المخدرات، وعصابات إجرامية متناحرة، وأحد الناجين من عصابة ماغليانا الذي أصبح يبسط سيطرته على روما بأكملها، وأسقف مرتش حتى النخاع. وطوال مشاهد الفيلم وأحداثه، يحس المتلقي أنه أمام عالم مغلق، يسود فيه منطق تصفية الحسابات، ولا شيء فيه يعلو على صوت المال.